الإنسان لا يقوم وحده

أ.د يوسف قليبح

كلية الإلهيات. جامعة مرمره

اسطانبول – تركيا

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين. فبعد:

شكرا لله تلاقينا مع الزملاء المحترمة بعد سنتين بسبب مرض أصبت فشفيت بحمد الله بدعوات الاخوة الكرام أولي العلم ذوي الاحترام أعزهم الله في الدارين فشكرا للبررة الكرام.

أحييكم بأحسن التحيات. وأقدم لكم أحر التسليمات. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اخترت موضوع "الإنسان لا يقوم وحده". لأن تحديات العصر تجري دائما بين الناس. يتحدى بعضهم بعضا عبر القرون. وهذا جدال بين الناس لا يهدأ ولا ينتهي.

1 – ماهية الإنسان:

الإنسان. جرم صغير كينونته. أنه يولد من قطرة ماء أوذرة منها ويكبر ويكون إنسانا قويا يسيطر الأشياء ويحكم عليها و يتحدى أبناء جنسه ويهدف الاستعلاء عليه. وهو كما قال علي كرم الله وجهه:

"وتزعم انك جرم صغير ... وفيك انطوي العالم الأكبر"

"دواؤك فيك وما تشعر ... ودائك منك وما تبصر"

"وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر"

(الديوان. 30 يولاق. 1251)

ومع صغر جرمه انطوي فيه العالم الأكبر. الإنسان هو المجهول ماهيته وواسع المدى آفاقه ولا نهاية لآماله وميوله.أنه خلق هلوعا كما قال الله في كتابه الكريم ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا﴾ (المعارج. 19–21) هلوعا: أي جزوعا مع شدة الحرص والضجر. وحمل الأمانة: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات

والأرض و الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان. انه كان ظلوما جهولا ﴿ الأحزاب.72). ومع عدم مبالاته من أن يكون ظلوما جهولا استحق خلافة الله في الدنيا لأنه يؤمن بالله عز وجل ويؤمن بالغيب للانهاية لحدوده ويحب مولاه ويدعوه ويستمده و يستعين بربه ويسعد بإتمامه هذا وتشبث بهداية الله إياه وبتعلم جبانه ما أوحى إلى أنبيائه ورسله خاصة ما أنزل إلى محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وتتبع الإنسان إلى أحكام القرآن العظيم الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ. يقول الأستاذ المرحوم سيد قطب "الحياة في ظلال القرآن نعمة. نعمة لا يعرفها إلى من ذاقها. نعمة ترفع العمر و تباركه وتزكيه"

2- الإنسان مع صغر جرمه مرشح للخلافة من الله عز وجل:

فواجب على الانسان ان يتعلم العلوم على مستوى أعلى حتى يعطي الخلافة حقها

3- الإنسان خليفة الله في العالم:

قال سبحانه وتعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح ونقدس لك؟

قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴿البقرة.30﴾ قالوا ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ (البقرة.32)

معنى خلافة النيابة عن الغير والإمارة والإمامة. معناه أن الله اختار الإنسان خليفة وسلم الكون له وجعله مسؤولا عن نظام العالم وحسن إدارته. فواجب الإنسان أن يدرك مسؤوليته ويترقى في جميع العلوم والفنون إلى أعلى درجاتها حتى يتحدى ما يعارضه من المشاكل ليؤدي مهمة الخلافة ليرضي ربه الذي حمل عليه مهمة الخلافة.

من هنا واجهنا معنى الإنسان لا يقوم وحده. لأن الإنسان ضئيل. ضعيف. ظلوم. جهول. يحتاج إلى تدريب وتربية وتعليم يطول أمده. وتربية سائر الخلائق يمكن كماله إلى زمن قصير و عناء يسير. أما تربية الإنسان يطول إلى عشرين سنة تقريبا أو أكثر. مع ذلك لا يبتغي كمال الإنسان إلى أمده الأقصى حتى يرضي ربه. وهو يحتاج إلى حماية مولاه. وهذا يؤدي إلى أهم النقاط وهو الإيمان بالله والتحالف بروح الله. ترى الإنسان أحاط بالكوارث والمشاكل والمصائب بالحوادث الصعاب لا يتحمل ولن يتحمل أبدا أن يدافع نفسه بوحده ويحطم المشاكل و يوصلها بنفسه بغير معونة طبيعي قوي شديد سوي الله عز وجل.لأن الله

خالق كل شيء. وهو ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم. لا تأخذه سنة ولا نوم. له ما في السماوات وما في الأرض. من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم. ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.﴾ (البقرة. 255) إن الله خالق كل شيء كما روي في حديث من الأحاديث القدسية والله أعلم بصحته "كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق" ومن هاهنا يتبين أن الله خلق كل شيء والخلائق مضطرون إلى الإيمان بالله طرا. الإيمان بالله ضروري. كل فضائل الإنسانية والمزايا العالية موهبة وهدية من الله عز وجل. ولا يليق للإنسانية أن تتحدى الآخرين بشيء لن تنالوا لولا أن من الله لهم. فواجب على الإنسانية الإيمان بالله والاستعانة والتعوذ به والاستمداد منه تعالى. لأن الإنسان لا يقوم وحده بدون نصر من الله فاعلن هذه الحقيقة أولا كرسي مورسون الأمريكي الرئيس السابق بأكاديمية العلوم. وترجم هذه الدراسة إلى العربية الأستاذ محمد صالح الفلكي باسم العلم يدعو إلى الإيمان.

وكتاب قيم باسم الله يتجلى في عصر العلم يلقي نورا لإدراك العصر.

الحب لله هو أسنى رأسمال الإنسانية. قال الله تعالى:﴿ إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(يونس 62). الأولياء هؤلاء الذين يحبهم الله ويقربهم إليه ويهبهم النصر والنصرة. و من الأحاديث القدسية ما روي عن رسول الله قال: "من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة. وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به. وبصره الذي يبصر به. ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينه. ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه "(دكتور ن.محسن خان: صحيح البخاري. باللغة العربية والإنكليزية. المجلد 8-336-337).

الحب في الله والتحابب بروح الله هو من حسن حظ السعداء. قال رسول الله ﷺ: "إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء. يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله. قالوا: من هم يا رسول الله حتى نحبهم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور. وأنهم لعلى نور لا يخافون إذا

خاف الناس وهم يحزنون إذا حزن الناس. ثم قرأ هذه الآية :"ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

إن الله خلق آدم فكرمه ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء.70) فجعله خليفة له وفوض إليه أمانته فإن الإنسان مسؤول عن الكون قال الله عز وجل :﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ (الإنسان.36).

فعلينا أن نتجهز بالقيم العليا والتقدمات العظمى والموقيات المثلى حتى نرضى ربنا وننال السعادة والبشرى فاستبقوا الخيرات.

كما أفاد هذه الحقيقة الشاعر المرحوم محمد عاكف بايجاز:"طوغريدن طوغرويه قراندن آلوب اطامي""عصرن ادراكنه سويلتمليير إسلامي" ترجمته:" من واجبنا إن نأخذ الإلهام من القرآن العزيز مباشرة وأن نقرر الإسلام بإدراك العصر" ﴿وختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾(المطففين.26)

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين